الشاعر الغراب مأساته وغربته في الشعر الجاهلي

أ.د. جودت إبراهيم*

بسام أحمد المجدل**

ملخص البحث:

ينهض هَذَا البحث بدراسَة حياة الأغربة وغربتهم في ظلّ ذلك المجتمع المنحط إنسانياً، فقد تناول أبعاد الغربة ومظاهرها فكانت تتمثل بمظاهر شتّى منها الخوف والقلق والاضطراب، حيث إنّ ظاهرة الغربة في الشعر الجاهلي ليست تقليداً فنياً وإنّما حاجة فرضتها عليه الحياة الجاهلية، فالغراب لم يعان من الغربة التي عانى منها الجاهليين معظمهم بسبب الظروف البيئية في شبه الجزيرة العربية مثل الصحراء وحرارة الجو القوية في الصيف والبرودة الشديدة في الشتاء والقحط الدائم فحسب إنما علاوة على ذلك عانى من ذلك لأسباب فيزيولوجية كانت باديةً على وجهه الأسود وساريةً في عروقه الزرقاء، إنّه السواد الذي ورثه من أمه التي ظلت سبة عليه طيلة حياته.

الكلمة المفتاحية: الأغربة، الغربة، القهر.

* الأستاذ الدكتور جودَت إبراهيم، أستاذ في اللغة العربية وآدابهَا – جامعة البعث.

** طالِب دُكتورَاه، في شعبة الدِّرَاسَات الأدبيَّة في كلية الآداب، جامعة البعث.

Abstract

The research summarizes this research is to study the life of the seed and its west under that society is humanitarian, and the dimensions of alienation and their manifestations were different from fear, concern and disorder, as the phenomenon of alienation in ignorance is not A technical tradition, but the need for ignorance of life, the crow did not suffer from most Elementia because of environmental conditions on the Arabian Peninsula, such as desert and strong air heat in the summer and cold in the winter and the permanent However, as well as that, he suffered to fierce reasons that were founded on the black and Syrian face in his blue veins that he was inherited from his mother, who had remained in his life

Key words: black arab , alienaion- oppression,.

مقدمة:

ثمة ظواهر كثيرة في الشعر الجاهلي ينبغي الوقوف عليها لأهميتها، ولا ننكر أنّها مدروسة ولكن بأساليب مختلفة، فصدر الشعر الجاهلي رحبٌ يتسع للأقوال والدراسات التي تحاول إظهارها أمام كبار الباحثين، وتجدر الإشارة إلى أنّ ظاهرة الغربة عند الأغربة لها أهمية كبيرة لما نتحدث عنه ؛ فالحديث عن المسائل الإنسانية يهمّ الجنس البشري إذ إنّها تُعد من أهمّ أسباب بقاء الإنسان على قيد الحياة، فعندما تفتقد الإنسانية قيمتها يصبح الإنسان أخفض درجةً ، وهذا ما حصل مع الشعراء الأغربة الذين فقدوا قيمتهم لسواد بشرتهم وللدم الحامي الذي سرى في أجسادهم المنحوسة، نعم فقد فقدوا ذواتهم وكينونتهم الدالة عليهم رغم ما حملوه في قلوبهم من شجاعة وإقدام وصدق و وفاء، كانت هذه الصفات أبيض من بشرة الرجال السادة الّذين لم يعبثوا ولم يكترثوا لما أصاب الغراب جراء معاملاتهم اللاإنسانية.

مشكلة البحث:

من أهمّ مشكلات اختيار الموضوع هي كثرة الآراء حول الشعراء الأغربة ونيلهم حريتهم، وكان هناك بعض الصعوبات منها تعدد تقصي حالة الغراب النفسية، وأيضاً التغاضي من السادة البيض الذين وضعوا مشاعر الغراب في آخر اهتماماتهم، بالإضافة إلى المدلولات العميقة والغزيرة للشعراء الأغربة.

هدف البحث:

سعت الدراسة إلى تحديد حالات القهر جراء الغربة ومأساة الغراب ثُمّ تقصيها في نماذج شعرية من شعر الأغربة، لما لها من قيمة إنسانية بين أوساط الباحثين.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في تلافي حالات القهر الإنساني، وذلك بعد بيان حالة الغراب التي آل إليها من خلال تطبيق نماذج شعرية متميزة من شعر الأغربة.

منهج البحث:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي لكي يبلغ البحث غايته في تذوق النصّ الجاهلي وتقصي الأنسنة في شعر الأغربة على مستوى المواقف الإنسانية التي اعترضت الشاعر. إذ إنّه يعتمدُ من أجلِ تنظيمِ العملِ العلمي والدراسة والتحليل لبلوغ الأهدافِ المطلوبةِ من البحثِ[1].

الدراسات السابقة:

من الأبحاث التي تناولت هذا الظاهرة كتاب **(الشعراء السود)** لـ"عبده بدوي"، و**(الغربة في الشعر الجاهلي)** للدكتور "عبد الرَّزاق الخَشرُوم"، و**(مَظاهر القهر الإنساني الشعر الجاهلي)** رسالة ماجستير لـ"رباح علي".

الغربة عند الشاعر الغراب:

إنّ الغربة هي الانسلاخ عن الذات، وقد جاءت في العلاقات الإنسانية: الشعور بالبعد سواء أكان مادياً أم معنوياً, «والغرب: الذهاب والتنحي عن الناس, وَقَد غَرَبَ عنَّا يَغربُ غرباً, وَغرَّبَ وَأغرَبَ وَغرَّبهُ أَغربَهُ: نحَّاهُ, وَفي الحديث أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أمر بتغريب الزاني سنةً إذا لم يحصن وهو نفيه عن بلده. والغربة والغَرْبُ: النوى والبعد وقد تغرب.

[1]1– إبراهيم، د. جودت، منهجية البحث, مديرية الكتب والمطبوعات، 2007– 2008م، ص292.

قال ساعدة بن جؤية يصف سحاباً:

ثـم انتهـى بصـري و أصـبح جالسـاً ومنـــه لنجـــد طـــائفٌ متغـــرب

وَقيل متغربٌ هُنا أيِ من قبل المغرب. ويقال أغرب في الأرض إذا أمعن فيها»[1].

وجاء في القاموس المحيط: «الإغراب: إتيان الغرب والإتيان بالغريب... وَمَغربانُ الشَّمسِ حيث تغربُ، وَلقيته مَغربهَا وَمغربانهَا و مَغيرباناتهَا عندَ غُروبها, وتغرّب: أتى من الغرب... وغرب غَاب وبعُ. واغتربَ: تزوج من غَير الأقاربِ واستغربَ وأغرَب بالغَ في الضَّحك، والتَّغريب أن يَأتي بنون بيض وَبنون سود, والمُغرَب بفتح الرَّاء الصبح وكل شيء أبيض[2].

وكلُّ المعاني السابقة تشير إلى البعد عن البشر و الابتعاد عن الأوطان وهذا البعد له أسباب عدّة فالإنسان في حال غربته سواء أكان داخل الوطن أم خارجه هو بعيد. فإذا كان خارج الوطن يكون بعيداً عن وطنه وأحبته وإذا كان داخل الوطن يكون منبوذاً أو مضطهداً أو مظلوماً وكلّ هذا يجعل قلبه بعيداً عن الناس ربما بسبب عادات وتقاليد لا تتلاءم مع أفكاره وطبيعته النفسية أو الفيزيولوجية.

وعلى هذا يمكن القول إنّ الغربة ليست خياراً يختاره الشاعر بنفسه أو أنّها عادة جرى عليها الشعراء إنّها ظاهرةٌ فرضها الواقع والطبيعة الجاهلية ونظامها القبلي وهذا ما

1- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ، مادة غرب، ج1، ص638.

2- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق مكتب تحقيق التراث، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط8، 2005م، القاموس المحيط مادة غرب .

جعل الشاعر يذوب بكلّ كيانه في ذلك الوطن الذي جعله يشعر أنّه بعيدٌ عنه وتجدر الإشارة إلى أنّ البعد عن المكان الذي عاش به مدة ثم غادره ليبحث عن مكان فيه ماء وكلأ، لا نستطيع أن نسمي هذا النوع من الابتعاد غربة لأنّ ذلك تعوّد عليه بالإضافة إلى أنّ الشوق والحرقة لا تكون على الجدران أو مكان البيوت. كما ذُكر في المقدمات الطَّلليَّة إنَّما يَعيشُ غربتَهُ النَّفسيَّة و لم يتألم على بعد مكاني فحسب، فقد تألم على ابتعادٍ مقصودٍ من طرف القبيلة. ابتعادٍ جعله يشعر أنّه وحيدٌ في قبيلة لا تخلو من أحد، في قبيلة فرضت عليه العزلة، و هو كائنٌ موجودٌ يتنفس من هواها ولا يشعر بكينونته و إنسانيته إلا وهو في داخلها، إلا أنّ هذا الأمر فُرض عليه فرضاً قسرياً([1]).

وكان الشعراء الأغربة على نوعين: أغربة بقوا في قبائلهم وعاشوا الغربة الروحية. و أغربة صعاليك خرجوا عن قبائلهم وعاشوا غربةً مكانية وعلى هذا ميّز الدكتور عبد الرزاق الخشروم بين نوعين من الغربة:

«أولاً: غربة القهر, ليسَ للإنسان سلطة فيها وإنّما اصطلحت مجموعة عوامل على خلقها ؛وقد تجلت في الغربة عن الوطن والأهل وفي الغربة عن المجتمع.

ثانياً: غربة الذات قصد إليها الإنسان الجاهلي قصداً وتجلّت في حنينه إلى الماضي وتغيّر الدهر عليه وخروجه على القبيلة وعلى القيم الدينية والروحية التي كان يؤمن بها المجتمع الجاهلي وأثرت أن أسميها اغتراباً»[(2)].

يبدو أنّ الدكتور عبد الرزاق الخشروم تحدَّث عن الغربة في العصر الجاهلي عَلى العموم، لكن الغربة عند الأغربة وُجدت لِسَببٍ قهري قسري فُرض عليهم, وبهذا نتفق

[1] - انظر: الخشروم، د.عبد الرزاق، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1982م، د ط، ص12-13

2- الخشروم، د.عبد الرزاق، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1982م، د ط، ص14.

معه على النوع الأول، لكن النَّوع الثاني لا نتفق معه؛ لأنّ الغربة في حياة الأغربة ليست في الحنين إلى الماضي، إنّما في الواقع المعيش الذي فُرض عليه بسبب عوامل فيزيولوجية ليس له ذنبٌ بها، إضافةً إلى عوامل أخرى تتعلق بمن تصعلك منهم خرج عن عادات القبيلة وتقاليدها حيث إنّ هذا النوع لم يحنُّ إلى الماضي، فهو خرج وتغرّب لكي يخرج عن سيطرة القبيلة التي كانت مسيطرة عليه في الماضي واتخذ من حاضره ومستقبله خطوةَ تغيرٍ خطوة اغترابٍ تجعله ينسى ما سلف ويتخذ مجتمعا جديداً لا يجعله يعاني كما سبق، إلا أنّ شعور البعد ظلّ يرافقه لأنّه في مكان بعيد يبحث فيه عن الأنس، ويبحث عن قبيلة مثالية تقدّر شجاعته وقدراته النادرة وعلى هذا نستطيع أن نقول: هناك غربة حصلت قهراً واغتراباً حصل طوعاً.

«وقد يولد الإنسان لأمةٍ سوداء فيظلّ لونه يلاحقه ويكون عليه سبّة أمر ويكون فقيراً فيتصعلك. أو يرتكب خطيئة فيُخلع. أو يُؤسر في إحدى غزوات القبائل الكبيرة أو يضطر إلى النزول بقوم لا يمتُّ إليهم بصلة النسب فيكون بكلِّ هذه الحالات غريباً. ولكن هذا ليس بإرادته أيضاً. فهو غريبٌ غربة القهر والحياة والمجتمع»[1].

دواعي الغربة في شعر الأغربة:

ثمة أسباب دفعت الإنسان إلى الغربة خارجة عن سيطرته وهناك أسباب دفع نفسه منها إلى الغربة تعنتاً وتشدقاً بسبب رفضه لكلِّ العادات والتقاليد المفروضة عليه في ذلك المجتمع، والتي يراها مجحفةً في حقّه في ظل غياب العدالة الاجتماعية. وثمة عوامل عدّة كانت مهمةً في بعده، سواء أكان ذلك غربةً أم اغتراباً، فهي جعلت منه مشتتاً يعاني ويقاسي جراء ما أصابه. ومن أهم هذه الدواعي:

1- نفسه، ص: 16.

أولا: الدَّاعي البِيئيّ:

تغلب على البيئة في الجزيرة العربية البيئة الصحراوية، ومناطق قفار مترامية الأطراف «جعلت مناخها جافاً وشديد الحرارة بوجهٍ عام والجفاف يعني أيضاً قلّة الأمطار أو ندرتها... فإذا ما سقطت فإنّ وجه الصحراء يتغير بسرعة فتنبت الأعشاب... وسرعان ما تذبل وتزول أسباب الحياة البدوية القائمة على تربية الماشية والسعي لتأمين الكلأ والمراعي لها, فأشعة الشمس الحارقة ورياح السموم التي تهبّ في مواسم معينة فتشوي الوجوه وتعمي العيون, تسلب الأرض إشراقها وخضرتها, ومن هنا نفهم تسمية المطر بالغيث»[1].

إنّ هذا الجو الرهيب والبيئة المفرطة الصعوبة جعلت الإنسان العربي منذ القديم يجد في الهجرة ملاذاً بسبب ذلك الوضع القاسي وهذا ما جعلهم يخرجون خارج الجزيرة العربية للتخلص من حالة الفقر والطبيعة الصعبة في ذلك المكان الجاف. فهذه الصورة لتلك الطبيعة تتلخص في أنّهم كانوا يعيشون في منطقة صحراوية جبلية ذات أغوار شديدة الحرارة ومرتفعات شديدة البرودة وبينها مناطق رملية واسعة مخيفة عسيرة العيش حتى على الحيوانات. مما دفع الإنسان الجاهلي إلى الهجرة فإذا انقطع المطر عنها انقطع لدرجة أنّ الحياة انقطعت فيها. وإذا جاء يكون قوياً ينهي كلّ مقومات الحياة يحرك كلَّ شيء أمامه فلا مجال للحياة إلا ما ندر. فالبرد يعقد ذنب الكلب والحرُّ يذيب دماغ الضب. فكان هذا مقوماً رئيساً في تناقضات طبيعية تنفّر الإنسان من نفسه حتى أنّها صورة مقزز لطريقة العيش.[2] جعلت هؤلاء يهيمون على وجوههم فارين مما هم فيه لكنّ هذا الفرار خلّف في نفوسهم آلاماً تشوي قلوبهم كما شوت الشمس أدمغتهم وعقدت

1- هبو ، أحمد ، تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات جامعة حلب ، سورية،1990، دط. ص49

2- الغربة في الشعر الجاهلي ص 20.

ألسنتهم كما عقد البرد ذنب الكلب بسبب آلام الغربة القسرية فهم خرجوا من مكان فيه أناس جعلتهم يتحملون تلك الطبيعة في سبيل البقاء إلى جانبهم. ويمكن أن نضع هذا العامل مع جملة العوامل التي دعت للغربة عند الأغربة وغيرهم من الشعراء. وقد تجلت هذه الصورة في المقدمات الطللية. يقول سحيم[1]:

عَفتْ من سُليمى ذاتُ قرقٍ فَأُوذُها وأقفرَ منها بَعْدَ سلمى جَدِيدُها
أربَّتْ عليه كُلُّ هَوجاءَ مُعصِفٍ أسْحمَ دانٍ مُزْنُه يَستَعيدُها

يتذكّر الشاعر سليمى وديارها التي أقفرت من أهلها وزالت كلّ محاسنها بعد غياب أهلها. وقد كانت الطبيعة العامل الرئيس في هجرة أهل هذا المكان، وقد سيطرت الرياح العاصفة والأمطار التي خلّفت السيول الجارفة التي أودت على الحياة في هذا المكان، ومنه أيضا قول خفاف بن ندبة معدّداً أسماء المناطق التي يحن إليها يقول[2]:

طَرقت أسيماءُ الرِّحَال ودُونَنا مِن فَيْدِ غَيقَةَ ساعدٌ فكثيبُ
فالطّودُ فالمَلكاتُ أصبحَ دُونَها ففِراعُ قدسَ فعمقُها فحَسوبُ
فلئنْ صَرمتِ الحبلَ يا ابنة مالك والرأيُ فيه مخطئٌ ومصيبُ

قد كانت الغربة صُورةً مُلحَّةً، ليست رغبةً إراديةً، ومقصودة من الشاعر إنما هي حاجة فرضها ذلك الواقع المرير في شبه الجزيرة العربية في ظل الموقع الجغرافي والصحاري وحرارتها العالية وجبالها وبرودتها القارسة. إنّ القصدية الملحة في الغربة إثر العامل الطبيعي خلّفت إنساناً متهتكاً دائم الحنين إلى ملاعب الصبا وأيام الوصل مع الأهل والأقرباء. وظلّ يذكر وينوح دائماً في مطلع كلِّ قصيدةٍ يكتبها وكأن تلك المقدمات

1- ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية، 1950م، د ط، ص:49.

2- ديوان خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق: الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف بغداد، 1967م، د ط، ص:40.

تعبّر عمّا في نفسه. من مشاعر الغربة والبعد عن موطنه الذي صعبت ظروف العيش فيه ورغم ذلك فإنّ الغربة كانت بالنسبة له مهلكةً أكثر من ظروف المكان الذي كان يعيش فيه إلا أنّه اضطر للرحيل بهدف الاستمرار على قيد الحياة وضمان استمرار النوع البشري والتواصل ضمن المنظومة المجتمعية التي لا يريد أن يفارقها.

ثانياً: الداعي الاجتماعي:

إذا ما رجعنا إلى معنى كلمة عرب في اللغة العربية نجدها تعني الفوضى. وهذا يدلُّ على حياة البداوة غير المستقرّة[1]. لكن ذلك لا يسمح لنا أنّ نقول كانوا غوغاء جمع منتشرين في الأرض متنصلين مثل الغجر. فالعرب كانوا يتكيفون مع البيئة في ذلك المكان وهذا التكيف فرضه ذلك الواقع المرير. يرتحل إلى المكان الذي يجد فيه أسباب المعيشة حيث يتوفر الكلأ والماء. فمنهم من احترف الزراعة فاستقر وعاش حياة نصف حضرية ومنهم من بقي منتقلاً عن متطلبات المعيشة إلا أنّه ظلّ توّاق إلى حياة الاستقرار والعيش في ظل الهيئة المجتمعية التي تقوم في أساسها على العشيرة وعنصرها الرئيس و«وحدتها الأسرة التي تمثّل الواحدة منها الخيمة أو البيت. والحي عبارة عن مضرب من مضارب الخيام. وأعضاء الحي يطلق عليهم لفظ قوم. وتتألّف القبيلة من أقوام أو عشائر تربطها أواصر النسب وينظر أبناء العشيرة الواحدة بعضهم إلى بعض كأبناء دم واحد وهم يؤدّون الطاعة لرئيس واحد وهو كبير أعضاء العشيرة سنّاً. ويتداعون إلى الحرب بصيحة واحدة. ويرجع اسم عشيرة في الغالب إلى الجد الأول الذي تنتسب إليه»[2].

وقد كانت العشيرة تجمع أفرادها تحت نظام مشترك يلتزم به كلُّ الأفراد وقد كانت رئاسة العشيرة تقرر بالتشاور كبارها الاستمرار أو البقاء بحسب توزع الماء والكلأ وتوفره

1–هبو ، أحمد، تاريخ العرب قبل الإسلام ص:93.

2– حتى ، فيليب ، تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة 1951م، دط، ص: 28،.

وكان أفراد القبيلة لا يبدون أي اعتراض أمام قرار الانتقال إلى مكان آخر لأنّ هناك مصلحة اقتصادية تجمع الجميع. وهؤلاء الأفراد أمضوا حياتهم وهم يحرصون على وحدة القبيلة. لا يسمحون لأحد بالاقتراب أو تعكير صفو العشيرة وفق قوانين سنّتها القبيلة وذلك لحماية بعضهم على أساس الرابطة التي تربطهم وهي رابطة الدم، فكلُّهم أبناء عمومة يتهالكون في الدفاع عن بعضهم مهما كانت عظمة الخلاف الداخلي بينهم حيث إنَّ «القبيلة هي عماد الحياة في البادية. بها يحتمي الأعرابي في الدفاع عن نفسه وماله حيث لا (شُرَطَ) في البوادي تؤدب المعتدين ولا سجون يسجن فيها الخارجون عن نظام المجتمع وكلّ ما هنالك (عصبية) تأخذ الحق. وأعراف يجب أن تُطاع»[1]. وهذا ما دفع الأعرابي للالتزام بتعاليم القبيلة إلا ما ندر, واضطرت القبيلة لخلعه عنها.

فَعنترة رُغمَ قوته وبسالته ينظر إلى حالته بنظرة واقعية رغم الألم الذي لاقاه من قومه ولم يخرج عنهم بل يستبسل في الدفاع عنهم والذود عن كَرامتهم. يقول[2]:

المـــالُ مـــالكُم والعبـــدُ عبـــدُكم فهل عذابُك عني اليومَ مصروفُ
تنســى بلائــي إذا مــا غــارةٌ لَقِحَــت تخــرجُ منهــا الطُّــوالاتُ الســراعيفُ
يخــرجنَ منهــا وقــد بُلّــت رحائِلهــا بالمــاءِ يركضــها المُــردُ الغطــاريفُ
قد أطعنُ الطعنةَ النجلاءَ عن عُرُضٍ تصــفرُّ كــفُّ أخيهــا وهــو مَنــزوفُ
لا شــكَّ للمــرءِ أن الــدَّهرَ ذو خُلُــفٍ فيـــه تفـــرَّق ذو إلـــفٍ ومـــألوفُ

فأكثر ما يلفت الانتباه في حياة عنترة هو اشتراكه في العديد من الحروب وتلك سمة المجتمع القبلي الجاهلي لا يشذّ عنها، وإن كان يتميّز بعلو الذكر وبعد الصيت وحبه

1- علي ،جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص:313.

2- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدَّم لـه ووضـع فهارسـه وهوامشَـهُ: مجيد طـراد، دار الكتـاب العربي، بيروت، ط1، 1992، ص:99.

لابنة عمّه فهذا لا يمنعه أبداً من الخروج على تعاليم وأعراف القبيلة التي احتوته وكانت المأوى الرئيس له.

فعنترة قد عاش مدةً من عمره مُسترقّاً لم يعترف به أبوه وكان هذا كافياً لأن يدفعه إلى أن يسير في طريق الصعاليك إلّا أنّه لم يغادر أهله وقبيلته وإنّما كان يحسّ بارتباطه بأمه وأبيه وقبيلته ولو من جهة واحدة وهي جهة أمه وإذا كان بعض الأغربة قابلوا قبائلهم بالوجه السلبي. فخرجوا عن قبائلهم فإنّ عنترة قد واجه قبيلته بالوجه الإيجابي ولم يخرج عنها إلى أن صبر ونال حريته وذلك في سعيٍ حثيث منه ولم تكن بطولته فرديةً ذاتيةً في شعره بل كانت مرةً ذاتية ومرةً قبلية. إذ إنّ ارتباطه زاد بعد أن اعترفت القبيلة بحريته وقد ذكر في غير موضع عن أهمية توحد القبيلة وأن النصر لا يكون من جهته فحسب بل بالتعاون بين أفراد قبيلته فهم أصحاب دمٍ مشتركٍ والمروءة والنخوة تدفعه إلى الالتزام بالدفاع عن القبيلة. ولا ننسى سحيماً في هذا المضمار رغم أنّه لا يوجد رابطة دمٍ تربطه مع بني أسد إلا أنّه تربّى بينهم وأحسّ نفسه أحد عناصرهم وقد برز ذلك في ديوانه وهو يمدح معاركهم ويتحدث بصيغة الأنا دليلاً منه على اشتراكه في غزواتهم وَبلاءه بلاءً حسناً في حروبهم. يقول[1]:

بنـــي أســـدٍ ســـيرُوا جميعـــاً فقَـــاتِلُوا ... مَعَـــدَاً إذا اربـــدّت بِشـــرّ جُلُودُهـــا
أرى أســـــداً والحمـــــدُ للهِ أصـــــبحَتْ ... علـــى خيـــرِ حـــالٍ والإلـــهُ يَزيـــدُها
ونحنُ جَلَبْنَا الخيلِ مِن جانبِ الغضى ... إلـــى أنْ تلَاقَـــتْ بالرشـــاءِ جنُوُدُهـــا
ويَـــومَ بنـــي كعـــبٍ تَرَكْنَـــا سَـــراتَهُم ... علـــى آلـــة لَـــزْنٍ قليـــلٍ عَديـــدُها

1- سحيم، ديوان ، ص:49 – 50.

إذن العصبية هي الأساس الذي تقوم عليه العشيرة ونظامها المفروض على كلّ شخص يعيش في القبيلة (الحر والمولى والحليف...) وكلٌّ يَعمَلُ العمل الموكل إليه ومن يخالف التعاليم مصيره الطرد والخلع وَيهدر دَمَه لا مُعين وَلا نَصير.

فالواجب المفروض على الأفراد هؤلاء، الفرد في هذه القبيلة. يدافع عنها ويذود عن حياضها ويأتمر بأمرها. وكل ذلك فُرض عليه بحكم العادة في ذلك الوقت فقد كان الرضوخ تحت لواء القبيلة أحد العادات والتقاليد السائدة حتى إذا كانت القبيلة على خطأ وربما تكبر هذه القبيلة وتتعدد فروعها إلا أنّها تعود إلى نسبها القديم وقد يضطرّ الأمر بهذه الفروع الصغيرة إلى التوحّد لدرء خطر محدق دفاعاً عن نفسها . فالذكريات القديمة لا تموت وتبقى تسري في عروق العربي. ذكريات النسب والقربى. لأنّ العربي إذا خسر نسبه فذلك خسرانٌ كبيرٌ وما أصعب الحياة بدون نسب ويحدث ذلك عندما يرتكب العربي جريمة ضمن نطاق العشيرة فيودي به إلى الفرار «ولقد قضت شريعة البادية القديمة أنّ الدم لا يغسله إلا الدم فكان لا يقبل جزاء آخر غير أخذ الثأر. إلا في بعض الحالات حين يقبل أهل القتيل الديّة»[1].

فَالعرَبيُّ لا ينسَى ثأره أبداً مهما مرَّ بهِ الزمن فقد «روي أنَّ الشَّنفرى قدم مكة وبها حزام بن جابر فقيل له: هذا قاتل أبيك فشدّ عليه فقتله ثم سبق الناس على رجليه ثم قال قصيدة ومنها هذه الأبيات[2]:

أَلا أُمَّ عَمْـــرو أَجمَعَـــتْ فَاســـتقلَّتِ وَمَـــا وَدَّعَـــت جِيرَانَهَـــا إِذْ تَوَلَّـــتِ
إِذَا فَزِعُـــوا طَـــارَت بِـــأبيَضَ صَـــارِمٍ وَرَامَـت بمَـا فِـي جَفْرهَـا ثُـمَّ سلَّتِ
حُسَـامٌ كَلـونِ المِلـحِ صَـافٍ حَديـدُهُ جُـــرَازٍ كَأقطَـــاعِ الغَـــديرِ المُنعَّـــتِ

1- عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، ص:24.

2- ديوان الشنفرى، جمعَهُ وحققه وشرحَهُ: د. إميل بديع يَعقُوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996م، ص:35-38.

تَرَاهَــا كَأذنَــابِ الحَسِــيلِ صَــوادِراً ... وَقَــد نَهلَــت مِــن الــدِّمَاءِ وَعلَّــتِ
قَتلنَــــا قَتــــيلاً مُحرِمَـــاً بِمُلبَّـــدٍ ... جِمَارَ مِنًى وَسطَ الحَجِيجِ المُصَوَّتِ
جَزينَـا سَـلامَان بـن مفـرج قَرْضَـهَا ... بمَـــا قَـــدَمَت أَيــــديهم وَأزلَّـــتِ
وهُنِّــئَ بــي قَــوْمٌ وَمَــا إِنْ هَنَــأتُهُم ... وأَصبحتُ فِي قَوْمٍ وَليسُوا بِمَنْبِتِي

بدأ الشاعر بالحديث عن المرأة التي هاجرت دون أن تودع جيرانها فقد اتخذت رأياً جعلت من الطرف الآخر مهمّشاً لا رأي له. وما هذه المرأة إلا تلك القبيلة التي حكمت عليه بالخروج بسبب قراراتها التعسفية، ولا يخفى الأمر علينا أنّ الشاعر يحنّ إلى أيام القبيلة والتي يشعر بالغربة بدونها لكنّه يريدها قبيلةً مثالية تحفظ كرامته وتجعله إنساناً محفوظ النسب غير مهان فكنّى عن القبيلة المثالية بالمرأة المحتشمة ثمّ يصفها بوصفٍ لا مثيل له يبدي غربته في غيابها أنها خيال غير موجودة[1]:

فَــوَا كَبِــدا عَلَــى أُميمَـــةَ بعــدمَا ... طَمعت، فَهَبْهَا نِعمـةَ العَيشِ زَلَّتِ
فيَــا جَــارَتِي وَأنــتِ غَيــرُ مَليمَــةٍ ... إِذْ ذُكِــــرَتْ وَلا بِــــذَاتِ تَقلَّـــتِ
لَقَــد أَعجبَتنِــي لا سُــقوطَاً قِنَاعُهَــا ... إِذَا مَـــا مَشَـــت وَلا بــذَاتِ تَلفُّــتِ

يحنُّ الشاعر إلى حياةٍ مليئةٍ بالاستقرار وهو في مكانٍ لا نصير ولا مجير. وبعدها يدخل في مناسبة القصيدة. وكيف شفى غليله بقاتل أبيه الذي لم ينسى ثأره وهو في ذلك المكان المقدس إلا أنّه ذكر في مطلع قصيدته المرأة فكانت معادلاً موضوعياً للقبيلة الرئيسة التي اتخذت قرارات مجحفة بحقه فاضطرّ إلى التعويض بأميمة المرأة المتخيلة المعادل الموضوعي للقبيلة التي يتمنى أن تكون عليها الشاعر. وكل ذلك إشارات وأمارات تدلُّ على الشرخ الكبير الذي أحدثته الغربة في حياة الشاعر من الألم والفقر والحرمان وهذا أحد العوامل الاجتماعية في الغربة بالإضافة للعوامل الجغرافيّة

1- ديوان الشنفرى، ص:32.

والاقتصادية ومواقع الغنى وتوزيعهم في شبه الجزيرة العربية. والذي كان تمركزه مكة التي كان لها الأثر الكبير في الحياة الاجتماعيّة في العصر الجاهلي وتأثيره الكبير في الغربة على حياة ذلك العربي.

ثالثاً: المرأة:

المرأة كانت دافعاً من دوافع الشجاعة والفروسية سواء أكانت أمّاً أم حبيبة والآن تُعَد المرأة هنا من الدواعي المهمة التي تجعل الشاعر يشعر بالغربة في جميع الحالات بعيداً عنها أم قريباً وقد ذكرها الشاعر في مقدمة كلِّ قصيدة لما فيها من أثرٍ كبيرٍ في سير حياته ولاسيما المرأة الحبيبة.

يقول سحيم في فراق من أحب والغربة في غيابها تمزق أَحشَاءه[1]:

عُميـــرةٌ ودّع إن تَجهْـــزَت غَاديـــاً كفَـى الشَّـيبُ والإسـلامُ للمَـرءِ ناهيَـاً
جُنونـاً بهـا فيمَـا اعتَشـرنَا عُلالَـةً علاقَـــةَ حُـــبٍّ مُستَســـرَّاً وَباديَـــا
لَيـــالي تَصـــطَادُ القُلـــوبَ بفَـــاحِمٍ تَـــرَاهُ أثيثَـــاً نَـــاعِمَ النَّبـــتِ عَافيَـــا
وَجِيـــدٍ كَجِيـــدِ الـــرِّيمِ لَـــيسَ بِعَاطـــلٍ مِـن الـدُّرِّ واليَـاقُوتِ والشَّـذرِ حَاليَـا

يتذكر الشاعر تلك الأيام التي أصبح فيها بعيداً غريباً عن حبيبته التي فقدها وأصبح بدونها غريباً.

تُعَدّ المرأة في حياة الشاعر الغراب الملاذ الذي لجأ إليه في ظلِّ الظرف الذي عاشه بسبب سواده. كما أنّها أحد أهمِّ أسباب هذه الغربة فعندما طلب عنترة ابنة عمّه لم

1- ديوان سحيم، ص: 16-17.

يعطوها إياه بسبب سواده. فغادر أهلها بها إلى بني شيبان. فقال في ذلك عندما تركته غريبا بدونها[1]:

يَـا طَـائرَ البـانِ قـد هيَّجـتَ أشـجَانِي وَزِدْتنـــي طَرَبَـــا يَـــا طَـــائِرَ البَـــانِ
زِدْنِـي مِن النَّوحِ وأَسعدنِي عَلَى حزنِـي حتَّـى تـرَى عَجبَـاً مِـن فَـيضِ أَجفَـانِي
وَقِـفْ لِتَنظُـرَ مَـا بِـي لا تَكُـن عَجِـلاً وَاحْـذَر لِنَفسِـكَ مِـن أنفَـاسِ نِيرَانِـي
وَطِـرْ لعلَّـكَ فِـي أَرضِ الحِجَـازِ تـرَى رَكْبَـاً علَـى عَـالجٍ أَو دُونَ نُعمَـانِ
يَســـرِي بجَاريـــةٍ تنهـــلُّ أدمُعُهَـــا شـــوقاً إلـــى وطـــنٍ نـــاءٍ وَجيـــرَانِ

بقي الشاعر حزيناً وحيداً دُون مؤنسٍ أو حبيبٍ بعد فراق حبيبته فلجأ بذلك إلى الطبيعة فأنسن الطائر الذي كان الملاذ الوحيد للشاعر كي يبثّ شكواه إليه. وكأن الطائر يغني أغنيةً عاطفيةً تؤجج المشاعر في ذات الشاعر الذي وجد كينونته ووجوده في ذات ذلك الطائر. فبعد أن عجز عن إثبات الإنسانية في نفوس البشر الذين ازدروه واحتقروه لسواده وأبعدوه عن حبيبته لسببٍ ليس له ذنبٌ به فما كان منه إلا أن ابتعد عن الكائن الإنساني إلى خلق صفات إنسانية في كائنٍ آخر من غير تلك الفصيلة، فكان ملاذاً للشاعر في بثّ شكواه له وإرساله لإيصال رسائله إلى حبيبته البعيدة عنه الموجودة في قلبه. فالشاعر يلجأ في الخطاب الشعري إلى مكنونات وظيفية تخرجه من حالة انعزالية إلى حالة تفاعلية تجعله يشعر بكينونته الإنسانية مع كائنات غير إنسانية كما فعل عنترة مع الطائر الذي آنس وحشته والليالي التي تصطاد وحشة سحيم في غياب حبيبته. وعلى هذا لم تكن المرأة ذات سبب ثانوي في غربة الشاعر الغراب. إنّما كانت ذات وجود بطابعٍ فعّالٍ. يجعل من الشاعر إنساناً كئيباً حزيناَ. فقد استعاض سحيم بالمرأة على غربته فهو ينسى الغربة النفسية داخله بوجوده بين النساء والحرائر البيض فلا يشعر بكينونته إلا بوجودهنّ حوله. كما أنّ الشنفرى وجد في المرأة المثال القبيلة المثال التي يتمنى أن

1- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:196.

يعيش بها فلم يجد أفضل من استخدام نسق المرأة للتعبير عمّا في داخله من نزوع إنسانيٍّ حادٍ إلى الاستقرار الذي كان يبحث عنه في غربته المادية في الصحاري و الفلوات. وكما هو متعارف عليه المرأة هي سكن الرجل وملاذه الوحيد. فعندما خلق جلّ وعلا آدم عليه السلام لم يتركه وحيداً. إذ خلق معه حواء كي تؤنسه وتشعره بوجوده. فعندما خلق حواء خلقه من ضلعه. إلا أنّ الرجل ظلّ وراء ذلك الضلع الذي فقده كي يحصل عليه فلا يجد طمأنينته إلا بوجده. فهي العامل الأكبر في استقراره النفسي.

رابعاً: الدَّاعي النَّفسِي:

إنّ الإنسان العربي سليم الفطرة. توّاق إلى الحرية ولا يستطيع إلا أن يكون حرّاً. عاش في مكان لا أنهار فيه ولا زرع. وقد أكسبته هذه الطبيعة القاسية طباعاً نفسية قلّما تتواجد في الشعوب الأخرى, فقد كان يفترش الأرض ويلتحف السماء وليس لديه أي مانع من هذا. مادامت كرامته محفوظة.

يقول ابن خلدون في وصفه: «متوحشٌ. نهَّابٌ. سلاَّبٌ. إذا أخضَع مَملكةً أسرَع إليها الخَراب. يصعب انقياده لرئيس. لا يُجيد صناعة. ولا يحسن علماً. ولا عنده استعداد للإجادة فيها. سليم الطباع. مستعد للخير, شجاع»[1].

إنّ حياة الجاهلي مجبولةٌ علَى المَخاطِر وَذلك بحكم ما حوله. ما جعله يحمل صفات متناقضة كالرعونة في مواقف. والرّقّة في مواقف أخرى. فهو: «عصبي المزاج. سريع الغضب. يهيج للشيء التافه. ولا يقف هياجه عند حد وهو أشد هياجاً إذا جرحت كرامته أو انتهكت حرمة قبيلته وإذا اهتاج أسرع إلى السيف واحتكم إليه»[2].

1- ابن خلدون ، المقدمة ، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص:262.

2- نفسه، ج1، ص:265.

يبدو أنّه استمدّ صفاته من ذلك الجو الحاد المتقلّب. فكما أنّ الجو ليس لديه حلٌ وسطيٌّ في البرود والحرارة. والمطر والجفاف. كذلك العربي. ليس هناك حدٌ لمحبته أو كراهيته. فإذا أحبَّ بذل نفسه وإذا كره بذل نفس عدوّه. إذا عاهد صدق وإذا غزا وغنم وزّع غنائمه على سواه رغم أنّه بذلك في ذلك حياته، لديه من الصفات ما يدعو إلى الصدمة لتناقضها الشديد وكل_ذلك بسبب الطبيعة الصحراوية. «الطبيعة هي التي صيّرت العرب على هذه الحال وهي التي غلبت عليهم البداوة. إذ حرمتهم من الماء. وجاءت عليهم برمال تلفح الوجوه. وبسمومٍ مؤذيةٍ وبحرارة شديدة متسعة تظهر وكأنها بحر من رمل لا حدّ له. حيّرت من ولد فيها إنساناً قلقاً هائماً على وجهه يتنقل من مكانٍ إلى مكان. بحثاً عن ماء و أكل»[1].

ورغم العيش في تلك الفلوات وعدم الوقوف عند الحدود في البرية و إلا أننا لا نستطيع القول بحرية العربي المطلقة لأنّه كان يعيش ضمن قبيلة لها أعراف وتقاليد لا يستطيع أن يتجاوزها أو يخرج عنها. إذن «يخطئ من يظن أنّ البداوة حريةٌ لا حد لها وفوضى لا يردعها رادع، إنّ الأعراب فرديون لا يخضعون لنظام ولا لقانون على نحو ما يتراءى للحضري أو للغريب، إنّهم في الواقع خاضعون لعرفهم القبلي خضوعاً صارماً شديداً وكل من يخرج على ذلك العرف يُطرد من أهله ويتبرّأ قومه منه ويضطر أن يعيش طريداً أو صعلوكاً»[2].

تلك صفات نفسية شملت العربي ككل, العربي الحر الذي كان يملك نفسه. فما الظروف النفسية التي جبل عليها العبد الغراب؟

1- نفسه: ج4، ص:280.

2- المفصل في تاريخ العرب، ج1 ، ص:277.

لم يجد العبد ذاته في ظلّ عبوديته. فقد كان مأسوراً مسلوب الإرادة. لا يملك من أمر نفسه شيء إلا أن الدماء التي تجري في جسده دوماً تنشد الأفضل وكان أفضل ما يتمناه هو الحرية. ثم ماذا بعد الحرية ؟

أخذ عنترة حريته بقوة ذراعه بعد أن اعترف أبوه بذلك. كما أنّ خفافاً أخذ حريته باكراً. إلا أنّ سحيماً لم يفرح بها. فالمشكلة الأعظم في حياة هؤلاء لم تكن الحرية فحسب. إنّما كان هناك أمر لا تستطيع قوة في تلك الصحراء تغييره. إنّه الجلد الأسود وذلك اللون الذي ظل يطاردهم في كل الأوقات مما جعلهم غرباء عن المجتمع طيلة حياتهم حتى بعد نيلهم الحرية. إن غربة الأغربة لم تكن معادلاً للطبيعة القاحلة التي ألحوا عليها في مطلع كلّ قصيدة وإحساسهم الشديد بالطبيعة التي سببته يد القدر وفرقتهم عن ديارهم وأحبتهم فحسب. بل كانت معادلاً للون الأسود إضافة لقوة الطبيعة فالإنسان العربي اغترب. إنَّما الغُرَاب اغترب مرتين. مرة مع نفسه إزاء الوسط المحيط الذي ازدرى لونه. ومرة عندما ركب ناقته متوجهاً إلى مكان يبحث عن ظروف معيشه أحسن من المكان الذي تركه وراءه بما فيه من ذكريات. إنّ غربة اللون لدى الأغربة أسقطتهم في أصعب أنواع الغربة فلم تشفع أفعالهم البيضاء بتغطية جلودهم السود. يقول عنترة[1]:

ينـادونني فـي السـلمِ يَـا بـنَ زبيبـة وعنـدَ صـدامِ الخيـلِ يـا بـن الأطايـبِ
ولـولا الهـوى مـا ذلّ مثلـي لمـثلِهم ومـا خَضَـعتْ أُسُـدُ الفـلا للثعالـبِ
سـيذكرُني قَـوْمِي إذا الخيـلُ أصـبحتْ تجـولُ بهـا الفرسـان بـينَ المضـاربِ

مهما بذل الغراب من شجاعة أمام قومه إلا أنّهم لم ينسوا لونه الذي لم تغطّه أفعاله ما جعل الشعراء الأغربة يعوضون بذلك بجميل صنعهم وبجودة شعرهم.

1- التَّبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:35.

يقول سحيم مفاخراً بخلقه وجودة شعره[1]:

لَـيسَ يُـزْرِي السَّـوَادُ يَومَـاً بـذي اللُّـ ـــبِّ ولا بـــالفَتَى اللَّبيـــبِ الأَدِيْـــبِ
إِنْ يَكُـــن للسَّـــوَاد فـــيَّ نَصِـــيْبٌ فَبيَـــاضُ الأَخـــلاقِ مِنـــهُ نَصـــيبِي

يبدو أنّه جرحٌ غائرٌ في النفس لم يندمل مادام صاحبه على قيد الحياة وهذا ما جعل الغراب يعيش قلقاً بسبب رفضه من المجتمع، والغربة هنا لم تكن في الحنين إلى الوطن بل في الحنين إلى الذات المفقودة الذات الهائمة الباحثة عن الإنسانية التي تشعره بكينونيته المهمشة في عيونهم ما جعلهم يتجهون إلى ما حولهم غير الإنسان يجعلهم يجدون أنفسهم عندما يؤنسنون أشياءَ وهم في ذروة حالتهم الانفعالية وفي ذلك «يدور بمشاعره حولها ومعها أو يمزج أصالته بها أو ينصهر فيها وعن الحالة الأولى نقول: إنه متعاطفٌ معها. وعن الثانية متحدٌ بها. وعن الثالثة منعدمٌ فيها. وهذه الحالات الثلاث لون واحد من الترابط إلا أنّ الترابط في كلّ منها ليس واحداً لأنّ الفرق بين أنماطه الثلاثة كالفرق بين المشاركة والاتحاد والحلول»[(2)].

فعندما لجأ الشاعر إلى العالم الخارجي هرباً مما يعتمل في داخله إلى من حوله فجعل الأشياء تقوم بدورها الإنساني الجديد لتساعد في خلق جوٍّ يريد أن يحققه كي تشاركه المعاناة والقهر اللذان عملا في نفسه جراء الشيء الخارجي الذي فيه. وذلك هو السواد القاتم الذي جعله غريباً عن الإنسانية والإنسان في المجتمع القبلي.

خامساً: اللون:

1- ديوان سحيم، ص: 54 – 55.

2 – أحمد، د. مرشد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط3، 2003م، ص:7.

عانى الغراب منذ اللحظات الأولى لولادته من الحرمان وذلك نظراً لولادته غير الطبيعية. المنافية لقوانين القبيلة. فقدّم كلّ ما يملك من قوةٍ وشجاعة كي ترضى القبيلة عن سواده، فحاول الذود عن حياضها ودفع الشر عنها. إلا أنّ بعضهم لم يرضَ بما تنصه قوانين القبيلة ولم يستسلم لما كان فيه إذ إنّه وجد نفسه لقمةً سائغةً في فم الأحرار وما كان منه إلا أن انسلخ عن قبيلته متجهاً للسلب والنهب و الصعلكة ومنهم من رضي بواقعه وبقي عبداً يسعى إلى لقمة عيشٍ تقيته وتقيت أبناءه. وعلى هذا الأساس نشأ عند هؤلاء الأغربة: الغربة والاغتراب. الغربة لمن فرضت عليه، فما كان منه إلا أن يعيش غربة نفسية في ظل القبيلة التي تجاهلت جراحهم التي لا تندمل بسب بعدهم عن المجتمع ونبذه إياهم للسواد الذي لم يختاروه لأنفسهم ومنهم من اغترب. أي ابتعد واختار لنفسه العيش في البراري على ظاهرة النبذ في المجتمع.

إنَّ هَذا اللَّون ولَّد في نَفسِهِم غُربةً مُستعصيةً, فَعَنترة مثلاً «عانى عقدة اللون وهو في قمة انتصاراته»[1].

عنترة ذلك الفارس درع القبيلة وحاميها وكل ذلك لم يشفع له ولا لخفاف الذي اعترف به والده باكراً.

إلا أنّ الأول كان يقال له ابن زبيبة في أيام السلم والثاني كان يقال له ابن ندبة. رغم شهرتهم الواسعة بالقوة والفروسية. فبقي سواد جلودهم شاهداً على عبوديتهم. يقول عنترة:

ينـادونني فـي السـلمِ يَـا بـنَ زبيبـة وعنـدَ صـدامِ الخيـلِ يـا بـن الأطايـبِ

1- علي البَطل، اللون وأثره النفسي في شعر عنترة العبسي، ص:20.

وَلا يَخفى عَلى الجَميع أنّ السُّليك عندمَا قطع الوَشائج الَّتي تربطهُ بالقبيلَة بسبب سَواده كان السَّبب الرئيس لتصعلكة وَخُروجه عَلى القبيلة[1].

إذن كان اللون عند هذه الفئة أحد أهم مسببات الغربة إذ إنّه كان محاطاً بالغمز واللمز في الظاهر و العلن مما ولّد في ذواتهم العقد النفسية التي جعلتهم يشعرون بالدونية والانحطاط. فمهما حاول الغراب الوصول إلى أعلى درجات الانتصار يفشل حيث إنّه عندما يعود يجد سواد في عيون الناس وكأنه لم يفعل شيئاً فكل شيءٍ في هذه الحياة يعكس ألمهم «فلقد تحكّم أثر اللون بنفوس هؤلاء الشعراء وأحاسيسهم مما جعل أشعارهم أصداء خبايا وجدانهم وتجليات وعيهم الجمالي للأشياء من خلال ألوانها فانطبعت بشخصياتهم وامتزج الذاتي بالموضوعي في عقدة القيم الجمالية التي عبّروا عنها»[2].

وقد حاول الغراب التخلص من رقة العبودية والذل والتكيف مع المجتمع وإظهار عقدة النقص على أنّها سببٌ من أسباب التفوق وقد حاول ذلكَ عنترة كَقوله[3]:

أنَــا العَبــدُ أَلَّــذِي خُبِّــرْتِ عَنــهُ   يُلاقِــي فــي الكَريهَــةِ أَلــفَ حُــرِّ

فقد تَعمَّدَ الشَّاعِرُ مُلاقَاةَ أَلفِ حُرٍّ ولم يقل ألف فارس وذلك لأنّه طرح في صدر البيت (أنا العبد) فأقام بذلك مقارنة بين العبد والحر, فجعل ألف حُرّ مقابل عبد واحد فمن هذا العبد؟ إنّه عبدٌ غير عادي. عبدٌ يُجَابه آلاف الأحرار. عبدٌ أدمت العُبودية روحه. وألبت عليه حياته ونغصت معيشته. فجعل كل هذا الألم بما فيه من نقصٍ ودونية إلى تفوق وقدرة على ذلك الحر سليل الأشراف. وبالطبع عمد الغراب إلى توجيه حياته إلى

1- ديوان الشنفرى ويليه ديوانَا السُّليك بن السلكة وعمر بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص:73.

2- زغريت، خالد، جماليات تأثير اللون في شعر الأغربة والجاهليين، رسالة ماجستير مقدَّمة في كلية الآداب بجامعة البعث، بإشراف الدكتور أحمد علي دهمان، 2007، ص:7.

3- التَّبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:86.

جهة الكمال والحرية هارباً من ألم السواد. وذلك بواسطة الأعمال الحسنة والأخلاق العالية والبسالة في المعركة إذا فرضت عليهم المعركة.

ولا غرو أنّ الأغربة حَاوَلُوا التخلص من هذه المحنة إلا أنّهم لم ينجحوا في ذلك فإذا ابتعدوا عن المكان الذي ولدوا فيه، بقي سواد جلودهم حاجزاً في حلهم وترحالهم، يلاحقهم أنى حطّوا فعندما اتجه الصعاليك الأغربة إلى الاغتراب فضّلوا البقاء في الصحراء و تحمل مخاطرها على البقاء في القبيلة تلحقهم السبة في كل مكان، كما كان «يفاخر الغربان بسوادهم ولكنه الفخر الذي يعني تعويضاً عن النقص. إن إحساسهم بهوان منزلتهم وبِضَعَة مكانتهم في المجتمع القبلي القائم على العصبية يجعلهم يسجلون مفاخر أخرى غير مفخرة اللون والنسب فهم يتحدثون عن أخلاقهم وفروسيتهم وحسن صنيعهم بين الناس»[1].

يقول عنترة وَقد لاقى صُنوف العَذاب والإهانة بسبب سواده إذ إنّه كان مكروهاً[2]:

أَمــن ســميَّةَ دَمْــعُ العَــينِ تَــذريفُ لَـو أنّ ذَا مِنـك قبـلَ اليَـومِ مَعـرُوفُ
تَجلَّلتنِـــي إذ أَهـــوَى العَصَـــا قِبَلِـــي كأنَّهَـــا صَـــنمٌ يُعتَـــادُ مَعكُـــوفُ
المَـــالُ مَـــالكمُ وَالعَبـــدُ عَبـــدُكُم فَهـل عَـذابُكَ عنِّـي اليَـومَ مَصـرُوفُ
تَنسَـى بلائـي إذَا مَـا غَـارةٌ لَقَحَـتْ تخـرُجُ منهَـا الطُّـوالات السَّـرَاعيفُ

ثمة اعتراف صريح من الشاعر بأنّه عبدٌ لا قيمة له ولا حول له ولا قيمة ولا يجد ذاته إلا عند اشتداد الحرب

وَهَذا خفاف يقر بوضَاعةِ مَنزلتِهِ. يقولُ[3]:

1- الغربة في الشعر الجاهلي ص 97.
2- التَّبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:99 – 100.
3- ديوان خفاف بن ندبة، ص:108.

فَكِلانَـــــــا يُسَــــــــوِّدُهُ قَومُــــــــه   علَـــــى ذَلـــكَ النَّسَـــبِ المُظْلِـــمِ

ذكرنا بَعض مَلامح السَّواد والشعور بالغيض في ليل السواد المسيطر على هؤلاء ومن المفاخرة بالأخلاق والفروسية. يقول عنترة وهو لا يجد غضاضة في إعلان انتسابه إلى العرق الأسود[1]:

وَأنـــا المُجـــرَّبُ فـــي المَـــوَاطنِ كلِّهَـــا   مِـــن آلِ عَـــبْس مَنصـــبِي وَفِعَـــالي
مِـــنهُم أبـــي حَقَّـــاً، فَهُـــمْ لـــي والِـــدٌ،   وَالأمُّ مـــــن حَـــامٍ، فهـــم أخـــوالي

ويقولُ:

يُعِيبــــونِ لــــوني بالســــوادِ جهالــــةً   ولــولا ســوادُ الليــلِ مــا طلــعَ الفجــرُ

ويقولُ[2]:

وإنْ كـــــانَ جلـــــدي يـــــرى أســـــودُ   فلـــي فـــي المكـــارمِ عـــزّ ورتبـــة
ولـــو صـــلتِ العـــربُ يـــوم الـــوغى   لأبطالهـــا كنـــتُ للعـــربِ كعبـــةُ
ولــــو أن للمــــوتِ شخصــــاً يُــــرى   لروعِتـــــه ولأكثـــــرت رغبـــــة

وهكذا كان اللون حجر عثرة في طريق الأغربة رغم أنّهم حاولوا طمس السواد بأفعالهم البيضاء إلا أنّ غربة اللون ظلّت لصيقة بهم وهم على علمٍ كاملٍ بأنّ هذه الحقيقة ثابتة مهما حاولوا طمسها و«الشعراء السود كانوا على وعي بالهوية الاجتماعية التي يتحركون ضمن حدودها لذا كانوا لا يتحرجون من صفة العبودية التي كانت ملتصقة

1- التَّبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:117.

2- نفسه، ص:29.

بهم و إن كانوا أحراراً أحسوا أن عبوديتهم لسوادهم كانت بها وصارت هويتهم التي تحيلهم إلى تلك الفئة الصامتة المحاطة بالتابوهات الاجتماعية»[1].

وعلى هذا كان هؤلاء ضحية ألوانهم البعيدة عن الجمال فأسقطت حقهم بالوجود الحر. فكانوا غرباء وأغربة. أغربة بسوادهم. وغرباء لسوادهم وكان ذلك أحد أهمّ الأسباب في إبعادهم عن المجتمع. فكان ذلك مثل الموت في تغييبهم.

سادساً: الموت:

لم ينشغل الإنسان كما شغلته فكرة الموت ولم يثر لبَّه أفكار مثل هذه الفكرة وعلى هذا فعلاقة الإنسان بالفناء علاقة حياة وتعتمد هذه العلاقة على الوجود فوجود إحداهما الآخر يعني فناء الطرف الآخر حتى يثبت العكس وكأنّ الإنسان في صراعٍ عريقٍ مع الموت للبقاء على قيد الحياة فعنترة يثبت نفسه أمام الموت ويتحداه ويشجّ رأسه بسيفه. يَقولُ[2]:

إذَا مَا لَقيتُ المَوتَ عَمَّمتُ رأسَهُ بسَيفٍ على شُرْبِ الدِّمَا يَتَجْوهَرُ
سوادي بياضٌ حين تَبدو شَمَائلي وفعلي على الأنسابِ يزهو ويفخرُ

عنترة في صراع مع الموت حيث إنه أنسن الموت وشجّ رأسه بسيفه فقد ابتدأ البيت ب إذا الشرطية ظرف لما يستقبل من الزمان يؤكد بذلك على التوق للقاء الموت وهزيمته فبعد إذا اتبعها بما الزائدة فأكد شجاعته من جهة وجعل الموت شيئاً ثانوياً لأنّه

1- كاظم: صورة الاحرار في شعر الشعراء السود ص 37.
2- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:79.

قال في حال لقائي الموت سوف أشج رأسه وقد أراد بذلك الوصول إلى البيت التالي الذي يثبت بياض أفعاله التي غلبت على سواد جلده وضعة نسبه فكان بذلك الموت ندّاً له يقطع رأسه إذا ما انتقص من قيمته فكيف إذا حاول أي إنسان ذلك.

ومن هذه الفكرة تبقى رغبة الإنسان في الحياة أكثر حضوراً واستحواذاً على مشاعره وفكره؛ لأنّه يعرف أنّ الموت لا مفرّ منه مهما حاول الابتعاد عنه، فكان من شجاعة عنترة وإقدامه تحدي الموت إذ إنّ حلم الإنسانية الأكبر هو القضاء على الموت لكن الصدمة بالواقع أقوى منه وهذا ما يجعله يفكر بغربة الموت فعندما يغيبه الموت يغترب بنفسه وعندما يغيب أحد أحبائه يغترب بفقد رحيله المؤلم، فأكثر شيء يترك أثراً في النفس هو الموت فالموت غربة قسرية بحد ذاته. غربة فجع يتركها الفقيد في نفس من تعلّق به.

الموت مضاد للإنسان مضاد للألفة التي تزول بالموت. مضاد للوجود الإنساني. الأساس في كلّ شيء، إنّ حتمية الموت قضت على فكرة الخلود وهذه الفكرة لم يعِها سوى الإنسان الذي أدركها من خلال تجربة الحياة فـ«إنّ الموت موضوعة قديمة تمثلها الإنسان منذ القدم وقد طرح (شورون) تاريخية الموت كإجابة عن سؤال يقول: متى اكتشف الإنسان الموت؟

فأجاب بشاهد من (فولتير) عندما ذهب إلى القول بأنّ البشري هو الوحيد الذي يعرف أنّه سيموت وهو يعرف ذلك من خلال التجربة. ومعنى ذلك أنّ الحيوان ليس لديه ولا حتى الإحساس الغامض بقرب نهايته وأنّ الإنسان هو الوحيد الذي لديه إدراك واضح بالموت ويذهب (شورون) إلى أنّ الإنسان البدائي لم يستنتج من حالات الوفاة التي شاهدها أن الموت ضرورة حتمية للوجود البشري. وإنّما كان يردّه باستمرار إلى عوامل شديدة وأنّ هناك قطاعات كبيرة من البشر يعتقدون اعتقاداً جازماً بالحياة الأخرى بعد

الموت فكأنّ الموت في هذه الحياة الدنيا ليس نهاية كل شيء وإنّما هو نهاية لضرب من الحياة وبداية لضرب آخر منها»[1].

وعلى هذا كان هناك تحدٍّ واسع لهذه القوة الغيبيّة التي لم تفرّق البشر وتنقلهم إلى عالم آخر لا يمكن اللقاء وإطفاء نار الشوق وقهر الغربة إلا بعناق الموت ذاته لتكون نقلة لحياة أخرى.

قد برزت فلسفة الوجود في نظر الإنسان الجاهلي في قصيدة الرثاء حيث إنّ «الرثاء من الفنون التي جوّد فيها الشعراء لأنّه تعبير عن خلجات قلبٍ حزين. ومنه لوعة صادقة وحسرات حرّة. ولذلك فهو من الموضوعات القريبة إلى النفس لأنّ الرثاء الصادق تعبير مباشر قلّما تشوبه الصنعة أو التكلّف»[2]. لذلك يمكن القول إنّ مسألة الحياة والموت ترتبط بحالة الاغتراب بجوانبها كافة.

وهذا ما وجدنا في أبيات عنترة التي رثا فيها زهير بن جذيمة فيها يقول[3]:

خُسِفَ البَدرُ حِينَ كان تمامَا وخَفَى نورُهُ فعَادَ ظَلامَا
ودراري النجوم غَارتْ وغابتْ وضياءُ الآفاقِ صار قِتَامَا
حين قالوا: زُهيرُ ولّى قتيلاً خيّم الحزن عندنا وأقاما
قد سقاه الزمان كأس حمام وكذاك الزمان يسقي الحِماما
كان عوني وعدتي في الرزايا كان درعي وذابلي والحُساما
يا جفوني إن لم تجودي بدمع لجعلت الكرى عليك حراما
قسماً بالذي أماتَ و أحيا وتولّى الأرواحَ و الأجساما

1- شورون جاك، الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص: 8.

2 - الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1982، ص:311.

3- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، ص:138.

لا رفعتُ الحسامَ في الحربِ حتّى أتركَ القومَ في الفيافي عِظَاما
يا بني عامر ستلقون برقاً من حُسامي يَجِري الدماء سجاما
وتصبح النساء من خيفةِ السب ي وتبكي على الصغارِ اليتامى

لقد ترك أثر فراق جذيمة لدى الشاعر والقبيلة لوعةً كبيرةً وقد اغترب كلُّ شيء في غيابه وقد شاركت الطبيعة الشاعر بهذا المصاب البدر والليل والنجوم والزمان والجفون إذ إنّه منحها صفاتٍ إنسانية وتشترك في غربته التي وجدت بغياب سيد القبيلة وقد تعمد ذلك كي يخفف من معاناته ويجد من يتألم لهذا المصاب. فالشاعر لم يذكر أحداً من أبناء القبيلة واتجه إلى الطبيعة فهي الوحيدة التي تشترك معه بصفات خُلقية ولم تعيره بسواد جلده وبضعة نسبه من جهة أمه وعلى هذا أدخل العامل الإنساني الذي يريده. الذي يعامله على أنّه إنسانٌ وكأنّه يبحث عن الجانب الإنساني الحق. البعيد كل البعد عن الجدل والنفاق الاجتماعي وكأنّه أراد خلق مجتمع إنساني يعطي الإنسان قيمته الحقيقية. فالليل والقمر والزمان يشهد على أفعاله البيضاء التي طغت على سواد جلده.

وعلى هذا يمكن القول إنّ مسألة الحياة والموت ترتبط بحالة الاغتراب بجوانبها كافة ولاسيما عندما يفقد الإنسان شخصاً عزيزاً يشعر بالغربة الروحية بغيابه. فقد أحسّ الشاعر الجاهلي بالموت إحساساً حاداً فكلّ الأشياء حوله قاسية. والعلاقات الإنسانية مضطربة وغير مستقرة. مليئة بالخوف والقلق والبؤس والشقاء. وقد كان سبب تمرد هؤلاء الأغربة على مجتمعاتهم هو الشعور بأنّ الحياة بلا معنى وبلا هدف. والإحساس المستمر بأنّهم أقل منزلة عن غيرهم وذلك من نظرة الازدراء والاحتقار المستمرة إذ أنّهم كلما حاولوا الاندماج والتكيف مع المجتمع. ازداد المجتمع بعداً عنهم. وجفاءً لهم. وكَان هذَا الانفصَال اللاَّمنطقي وَغير المُبرر بمثابة موت لهم، فهم محاطون بكل أسباب الموت. الذل وانحباس المَطَر والشُّعور بالعَدَم.

وعلى هذا تعود في النهاية إلى الموت وعلى هذا كان الغراب في غربة صراعه مع الحياة، فكانت المعادلة لديهم متعددة الوجوه. فالحياة الذليلة مقابل الموت وعندما يموت يطلب البكاء على نفسه عند وفاته ويطلب السقيا لقبره. فإذا لم يستطع التواصل معهم وهو على قيد الحياة فقد تمنّى أن يكون صادق الشعور معهم وأن يحقق التواصل الإنساني بينه وبين الآخرين بعد أن عجز عنه أثناء حياته، فالحياة تتوقف بسبب بعده عن الناس وتنتهي عند الفقد والموت وذلك بسبب ضعف الإنسان أمام هذه القدرة العجيبة وهي الموت. ومن ذلك عندما رثت أمّ السليك[1]:

طـــــافَ يبغـــــي نجـــــوةً مِـــــن هَـــــلاكٍ فهلـــــكْ
ليـــــتَ شـــــعري ضـــــلّة أيُّ شـــــيءٍ قَتَلَـــــكْ

يبدو أنّ غربة الموت أفجعت وغيبت ابنها المعروف بشجاعته, فعندما ذهب هذا الابن لينجو بنفسه من غربة المجتمع وكدره. وجد الموت أمامه وما يلفت الأنظار في هذه المرثية قولها:

سَـــــأُعزّي الـــــنّفسَ إذْ لـــــمْ تجـــــبْ مَـــــنْ سَـــــأَلك

وكأنّها تريده ألا يحدّث أحداً أبداً بسبب العداء الذي أضمروه له وهو على قيد الحياة وقد قتلوه قبل أن يموت عندما أبعدوه وجعلوه يجوب الفلوات فهي لا تريد أن يحدّثهم حتى بعد مماتهم.

1- ديوان السليك بن السلكة أخباره وشعره، جمع وتحقيق حميد ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني بغداد، ط1، 1984م، ص 10.

وهكذا فإنّ الموت من عوامل الغربة المهمة ومن الدواعي التي جعلت الإنسان يشعر بلوعة الفقد لأنّه لا لقاء بعد اليوم. وهذا ما يجعل القلب يتفطّر لوعةً وحرماناً وغربةً قسرية ليس لأحد يداً فيها إلا قدرة الموت القهرية التي لم يصمد أمامها أحد.

فالإنسان عندما يسمع خبر كهذا لا يصدقه وذلك من هول المصاب الذي ينزل مثل الصاعقة على نفسه.

يقول خفاف[1]:

أتـــــاني حـــــديثٌ فكذّبْتُـــــه وقيـــلَ خليلـــك فـــي المـــرمسِ
فيـــا عـــين أبكـــي حُضَـــيرَ النـــدى حُضَـــير الكتائـــبِ والمجلـــسِ
ويـــــوم شـــــديد أُوارِ الحديـــــد تقطّـــع منـــه عُـــرى الأنفُـــس
صـــليتَ بـــه وعليـــك الحديـــدُ مـــا بـــين سَـــلعٍ إلـــى الأعـــراسِ
فَـــأَودى بنفسِـــكَ يـــومَ الـــوغى ونُقـــيُ ثيابـــك لـــم تـــدنَسِ

وقع خبر وفاة حُضَير على الشاعر مثل الصدمة. وكأن الشاعر فقد وعيه لهول المصاب الجلل فقد استخدمه صيغة الفعل الماضي (أتاني – كذبته – صليت – أودى) بين مكذّب ومصدّق للخبر حيث أكده بهذه الأفعال وظل الحزن مستمراً باستخدام الفعل المضارع (أبكي).

وكأنّ الحزن سيبقى في داخله ما عاش. إذ إنّ غربة فراقه سوف تكون حاضرة في المعارك والمجالس ويوم المسغبة. فلحُضَير حضور في كل المحافل الحسنة وهذا ما جعل فراقه غربة على الشاعر فقد كان مهاباً لا يقف في وجهه أحد.

يقول في موضوع آخر[1]:

1– ديوان خفاف، ص: 70.

لـو أنّ المنايـا حِـدْنَ عـن ذي مهابـة أَهِـبْنَ حضـيراً يـوم أَغْلَـقَ واقمـا
أطـاف بـه حتـى إذا الليـل جنَّـه تبـوّأ منـه منـزلاً مناعمـاً
وأودَيـنَ بالرجـال عُـروة قبلـه وأهلكـنَ صـيّاد الفـوارس هاشـما
وهـوَّن وجـدي أننـي لـم أكـن لـه كطيـر الشِـمالِ ينتـف الـريش حاتمـا

لقد ترك الموت لوعة لا تنطفئ. عاش الفاقد غربة بغياب المفقود الذي كان حبيباً أو نديماً أو ابناً... كان يعد بمثابة المؤنس الذي يعينه على تقلبات الدهر فاضطر الشاعر إلى اللجوء إلى الطبيعة وأنسنتها بمنحها الصفات الإنسانية كي تعينه على مصابه بعد غياب العنصر الإنساني في حياة الأغربة.

خاتمة:

ويتعين على كلامنا إنّ غربة الغراب عن ذاته كانت بسبب السواد الذي خلق عليه والذي ابتلى فيه. فعندما كرهت العرب الغراب ذلك الطائر الذي يجلب الشؤم فقد كرهت هذا العبد لأنه يذكّرها بذلك الطائر المشؤوم. وعندما ابتعد هذا الغراب عن المجتمع تداخلت في نفسه أشياء كثيرة جعلته يحنّ إلى ماضيه رغم ما فيها من مساوئ وقد يكون هذا لتطهير نفسه.

نتائج البحث:

1- تبيّن من خلال الوقوف على مأساة الأغربة أن السبب الرئيس هو النسب المغموز وهذا ما عاشه عنترة فقد ظلت كلّها تعيسة بسبب لونه وبسبب الفترة

1- نفسه، ص: 72 – 73.

الزمنية التي رزح بها تحت نير العبودية حيث إننا لم نشهد هذه المعاناة عند خفاف لأنه نال حريته باكراً.

2- كانت عملية النبذ لهؤلاء الأغربة سببها الرئيس هو اللون الأسود الذي توشحوا به والذي لا يمكن الانسلاخ منه فهم أغربة ومن هنا جاءت تسميتهم بهذا الاسم .

3- كانت العادات والتقاليد الحاكم الوحيد الذي تحكّم بمصير الأغربة فعنترة مثلا لم ينل حريته إلا بعد أن أظهر نجابة في الدفاع عن القبيلة حيث إنّ حريته كانت تصبّ في مصلحة القبيلة ككل بينما سحيم ظل عبدا فلم يكن أصلا من أبٍ حرٍ وهنا كان للأب دور في نيل الغراب حريته مثل عنترة وخفاف .

4- فقدان الأمل بالاندماج كان سبباً لتعهر بعضهم مثل سحيم، فبعد أن باءت محاولاته بالفشل في التسلل إلى لبِّ القبيلة والشعور بالحرية لجأ سحيم إلى التسلل إلى عقر دار السادة البيض حيث إن النساء في ذلك الوقت لا يجدن حراً في الظهور أمام العبيد وكانت هذه فرصة سحيم في نيل ما يصبو إليه في التمتع بالرؤية والاقتراب من نساء السادة البيض.

المَصادِر والمراجِع:

المصادر:

1. القرآن الكريم
2. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ، مادة غرب، ج1.
3. التبريزي، الخطيب، شرح ديوان عنترة، قدَّم له ووضع فهارسه وهوامشَهُ: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992.

4. ديوان السليك بن السلكة أخباره وشعره، جمع وتحقيق حميد ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني بغداد، ط1، 1984م.
5. ديوان الشنفرى ويليه ديوانَا السُّليك بن السلكة وعمر بن براق، إعداد وتقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996.
6. ديوان الشنفرى، جمعَهُ وحققه وشرحَهُ: د. إميل بديع يَعقُوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996م.
7. ديوان خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق: الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف بغداد، 1967م، د ط.
8. ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة مطبعة دار الكتب المصرية، 1950م، د ط.
9. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق مكتب تحقيق التراث، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط8، 2005م، القاموس المحيط مادة غرب .

المراجع:

1. إبراهيم، د. جودت، منهجية البحث, مديرية الكتب والمطبوعات، 2007–2008م.
2. أحمد، د. مرشد، أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط3، 2003م.
3. الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي: خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1982، ص:311.
4. حتى ، فيليب ، تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة 1951م، دط

5. الخشروم، د.عبد الرزاق، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1982م، د ط.

6. زغريت، خالد، جماليات تأثير اللون في شعر الأغربة والجاهليين، رسالة ماجستير مقدَّمة في كلية الآداب بجامعة البعث، بإشراف الدكتور أحمد علي دهمان، 2007م
7. شورون جاك، الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
8. علي البَطل، اللون وأثره النفسي في شعر عنترة العبسي، دط ،دت.
9. علي ، د جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي ، ط4، 2001م.
10. كاظم:علي، صورة الاحرار في شعر الشعراء السود ، د ط، دت،
11. هبو ، أحمد تاريخ العرب قبل الإسلام،منشوارات جامعة حلب ، سورية،1990، دط.